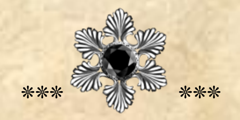
الأزمنة في اللغة العربية

بالمقارنة مع اللغات الأجنبية



*** ***



تأليف

فريد الدين آيدن

Feriduddin AYDIN

ORCID ID: 0000-0002-6440-6734
ISBN: 978-605-72570-3-1
البريد الألكتروني للمؤلّف

feriduddin@gmail.com

دار العِبَر للطباعة والنشر

Al-Ibar Publishing

إسطنبوال – 1997م.

جميع حقوق التأليف محفوظة للمؤلف: فريد الدين آيدن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين.

أما بعد: فإنَّ الأزمنةَ ذاتُ أهمّيّةٍ بالغةٍ من حيث علاقة الفعل بها، وإنْ لم تكن من المسائل الأساسية للّغةِ . فإنَّ علماءَ العربيةِ وإنْ كانوا قد خاضوا مثارَ البحثِ والجدلِ في دقائقِ علومِ اللغةِ، إلاّ أنّهم لم يكترثوا لهذا الأمرِ أو لم ينتبهوا له بكلِّ ما يستحقُّهُ من اهتمامٍ. ولعلّ التقليدَ قد حجبهم عن اكتشافهِ، وقد يكون ذلك ناشئاً من أسبابٍ أُخرىَ.

هذا، ولا نقولُ أنّ علماءَ العربيةِ لم يَفْطَنُوا إلى حقيقةِ الزمانِ من حيث علاقة الفعل به، إذ لا يجوز أن يكون قد التبس عليهم الفرقُ بين معاني الفعلِ الخالي عن القيودِ الزمانية، وبين الفعل المقيَّدِ بها مثل (طَلَبَ) و(سَبَقَ أنْ طَلَبَ) و (يَكُونُ قَدْ طَلَبَ) و(لَوْلاَهُ لَمَا طَلَبَ). فإنّ الفرقَ بين هذه التراكيبِ المختلفةِ واضحةٌ بيّنةٌ. ولابدّ أن يكونوا قد أدركوا هذا الفرقَ، إلاّ أنّهم لم يدخلوا في تفاصيلها ولم يجعلوا لكلِّ من الصِّيَغِ الزمنية باباً خاصاً كما قد تَّم ذلك في كثيرٍ من اللّغات.

ويغلبُ أنْ يكونَ هذا ناشِئاً من عدمِ علمِهم بِلُغاتٍ أجنبيّةٍ ، إذْ أنَّ كثيراً من المفاهيمِ والحاجاتِ وَالْمُقْتَضَيَاتِ لا يتبادَرُ إلى الذهنِ تلقائياً وبسهولةٍ إلاَّ بعد ظهورِ سببٍ يذكِّرُهُ أو ضرورةٍ تستدعيه، فهذه المنجزاتُ الحضاريةُ والتقنيةُ الضخمةُ التي نلمُسُهَا في مجالاتٍ مختلفةٍ من حياتنا، تُبَرْهِنُ على هذه الحقيقةِ، إذْ ليس من القليلِ ما قد كشفه العلماءُ والخبراءُ وما عَثَرَ عليها الباحثون وأَبْدَعَهَا أهلُ الذّوقِ والفنّ من صناعاتٍ وعلومٍ وآلاتٍ وأجهزةٍ بقرينةٍ بسيطةٍ في بداية الأمرِ، أو بالقياس بين شيئين اِسْتَحَسُّوا المكنوناتِ في أَحَدِهِمَا بفضلِ مَا فِي الآخَرِ من أَمْثَالِهَا.

هذا، لابدَّ وأنْ نؤكّد بأنَّ للفعلِ علاقةٌ عُضْوِيَّةٌ بمفهومِ الزّمانِ، وما من فعلٍ إلاَّ ولِحُدوُثِهِ وقتٌ؛ والوقتُ قِسطٌ من الزمان.

أما الزّمانُ فإنّه مفهوم معقَّد لم يتمكن العلماءُ من الوصولِ إلى حقيقته بعد. وهو ناشئ من دورانِ الكرة الأرضية حول محورها وعلى مدارٍ مُعَيَّنٍ مرتبطةً فيهما بالشمس، يعني أن الأرض تجري في ذات الوقت حول الشمس على مدارٍ مُعَيَّنٍ، إضافةً إلى جريانها حولَ محورِها فيتمخَّضُ عن الأول المواسمُ الأربعةُ، وعن الثاني اللّيلُ والنهارُ المتعاقبان.

والوحدة القياسية للزمان هي الساعة ولا يسع المقام لحصر ما يدخل في هذا الباب من تفاصيلَ جانبيةٍ.

أما الزّمانُ بالنسبة للفعل، فإنّه جديرٌ بالإهتمام؛ ذلك أن للفعل مراتبُ زمنيةٌ مختلفةٌ. ولهذا فإن علاقة الفعل بالزمان أشمل بكثير من القدر الذي حصرها علماء العربية في صِيَغٍ ثلاثٍ. وربما لم يكن غَرَضُهُمُ الوقوفَ على مفهوم الزّمانِ مباشرةً، وإنما أرادوا أن يتوصّلوا إلى تعريفٍ للفعل يميّزُهُ عن الإسمِ والحرفِ، فاقتصروا في هذه المحاولة على تقسيمه إلى الماضي والحال والإستقبال فحسب. وقد سمّىَ بعضُهُمْ الصِّيَغَ بالأزمنة الثلاثة. لذا، فإنّ المسألةَ غيرُ واضحةٍ؛ حيث أن طالب اللّغةِ العربيةِ قد يكون متردِّداً حول هذه القضية، فيتسائل عما إذا كانت هذه التسميةُ تعبيراً عن الصِّيَغِ الفعليةِ أم المراتبِ الزمنيةِ؟

نعم إنّ الفعلَ بوقوعه حقيقة، لا ينفكُّ عن الزّمانِ على الإطلاق، وهذا لا يدخل في نطاق دراستنا. إذ أنّ الفعلَ حاليٌّ عند وقوعه البتة، ويصبح ماضياً بعد وقوعه حقيقة. وهو مستقبل ما لم يقع. فهذه لا تتعدَّى عن تصورات منطقية بحتة.

وإنما نحن بصدد الصّيغةِ الزّمنيّةِ الموضوعةِ للفعل. فالصيغة الزّمنيّةُ لها دلالات مقرونة بأحد الأزمنة المطلقة؛ وهي الماضي والحال والإستقبال؛ كبناء الماضي على الفتح، واستهلال المضارع بأحد حروف المضارعة، ودخول السين وسوف على المستقبل. فإذا كانت هذه القرائن تدلُّ على المراتب الزمنية للفعل، فإنّ علاقة الفعل بالزمان أكثر شمولا من هذا التقسيم. إذ لا يخفى أنَّ للصّيغةِ الواحدةِ من الفعل دلالاتٌ متعلقةٌ بأزمنةٍ مختلفةٍ على حسب ما يصطحب الفعل من

كلمات أو تركيب. مثلاً فإن (اِنْتَهَى)، وهو فعلٌ ماضٍ، لكن قد يفيد في كلِّ مثالٍ من الأمثلة الآتيةِ الخمسةِ معنى لمراتب الزمان الغابر، يختلف ذلك المعنى في كلِّ واحدٍ منها عن الدلالاتِ الزمنيةِ في بقيةِ الأمثلةِ بسببِ الأدواتِ التي لَحِقَتْ بها وهي:

1. انتهى
2. قد انتهى
3. إذ انتهى
4. كان قد انتهى
5. لولاه لما انتهى

إنّ المرتبةَ الزمنيةَ التي يدلُّ عليها فعلُ (انتهَى) في كلِّ مثالٍ من الأمثلةِ المذكورةِ، تختلفُ عن بقيَّةِ المراتبِ الزّمنيةِ في الأمثلة الأخرى ، مع أن فعل (انتهى) قد وَرَدَ في كلٍّ من هذهِ الأمثلةِ على السواء. وأغربُ من هذا فإنَّ فعلَ (انتهى) . على سبيل المثال . في جملة : "إذا انتهى الأجل، إنتهى الوجل" يدلّ على مستقبلٍ مُعَلَّقٍ مع أنّه فعلٌ ماضٍ.

أما إذا قيل: إنما لم يَدْخُلْ علماءُ العربيةِ من الصرفيّين والنحويّين والأدباءِ في هذه التفاصيل تجنُّباً من التّطويل في المسائل، وتسهيلاً لطلبةِ العلمِ فإنّ هذا الإعتذار غير مُقْنِعٍ. ويغلب أنّهم قد ركّزوا جُلَّ اهتمامهم على المسائل الإشتقاقيةِ والإعرابيةِ والبلاغيةِ فحسب، وحرصوا في ذلك على تحقيق ثلاثةِ أهدافٍ دون غيرها وهي:

1. النطقُ السليمُ الخالصُ من اللّحنِ،
2. القراءةُ السليمةُ الخالصةُ من الغلطِ،
3. الكتابةُ الصحيحةُ الخالصةُ من الخطأ الإملائيّ والإنشائيّ.

إذن فتكون مسألةُ علاقةِ الفعلِ بالزمان أمراً جانبياً بالنسبة لعلماءِ العربيةِ لأنّهم حصروا مهمَّتَهم في الأبوابِ المذكورةِ، ولأنّه ليست للزّمانِ صلةٌ مباشِرَةٌ بهذهِ الأبوابِ الثلاثةِ لذلك لم يهتمُّوا بها، وهذا أحسن الظنِّ بهم.

وحيث أن شبابَ الأمةِ الإسلاميةِ من غيرِ العربِ قد أقبلوا على اللّغةِ العربيةِ إقبالاً متزايدًا في هذه المرحلةِ الأخيرةِ وازدادتْ رغبتُهُمْ لها بعد انتشار الصحوةِ الإسلاميةِ منذ بضع سنين بسبب تطوراتٍ طارئةٍ، فقد دعت الضرورةُ إلى دراسة هذه المسألة. إذ أنّ قضيةَ علاقةِ الفعلِ بالزّمان تحتلُّ مكانًا هامّاً في تصريف اللّغاتِ غير العربيةِ. وكثيرٌ من الطلابِ يعانون أزمةً شديدةً في ترجمةِ الصِّيَغِ الزمنيةِ خاصَّةً إلى اللغةِ العربيةِ ولا يجدون مصدراً ليستعينوا به على تذليل هذه العقبة التي تعترضهم من حينٍ إلى آخر. لذا رأيتُ من بابِ المساعدةِ لهم أن أتناولَ هذه المسألةَ فألخِّصَها بأسلوبٍ سهلٍ مُبَسَّطٍ. فأقول مستعينا بالله تعالى:

إنَّ التعبيرَ عن علاقةِ الفعلِ بالزّمان لأمرٌ هامٌّ لأنَّ الفعلَ يكثرُ استعمالُهُ في الحديث. وهو أحدُ العناصرِ الثلاثةِ التي يستهلُّ بها غالبُ كُتُبِ النَّحْوِ وتتشعَّبُ منها بقيّةُ أبوابِ القواعدِ، ولأنَّ الفعلَ مقرونٌ بزمانٍ مطلقاً، بخلافِ الإسمِ والحرفِ، وأنّهُ تزدادُ أهميَّةُ علاقةِ الفعلِ بالزّمان خاصَّةً في ترجمة العقودِ والمواصفاتِ والتقاريرِ وأمثالِهَا من الوثائق ذاتِ الأثرِ في العلاقاتِ البشريةِ.

ثم إنّ للفعلِ ثلاثةُ معانٍ:

الأول منها طبيعيٌّ. وهو مفاد الفعل المجرد .كـ (غَفَرَ، ويَنْطِقُ، وذَهَبْنَا.)

الثاني منها عارضيٌّ. وهو ما يفيد معنى عند الزّيادةِ على حروفه الأصلية. مثل (اِسْتغْفَرَ، ويُقَاتِلُ، وتَعَجَّبْنَا.)

الثالث منها ضِمْنِيٌّ. وهو الذي يظهرُ معناهُ من خلالِ علاقتِهِ بالزّمان.

أما الزّمان، فقد يكون قريباً، أو بعيداً، أو مختلفاً جداً من حيث القرب أو البعد بالنسبة للفاعل أو للرّاوي. إذن فإنَّ علاقةَ الفعلِ بالزّمان في هذا الإطار تكشف لنا تَعَدُّدَ المراتب الزّمنيةِ بأنَّها أكثرُ من ثلاثةٍ. وقد يختلف هذا التّعَدُّدُ من لغةٍ إلى أخرى حسب طبيعتِهَا وانسجامِهَا مع

اللّغاتِ المتطوّرةِ. فإنّ اللّغاتِ البسيطةَ قد لا تشتمل على مصطلحاتٍ علميةٍ ولا تدعو حاجةُ الناطقينَ بها إلى استعمالِ صِيَغٍ للمراتب الزّمنيَّةِ.

أما الزّمان في الأساس . من حيث علاقة الفعل به . فينقسم إلى بسيطٍ ومركَّبٍ. فالبسيطُ منهما أصلٌ، والمركَّبُ فرعٌ. لذا فإنَّ الأزمنةَ البسيطةَ مطلقةٌ عن القيودِ، أما المركَّبَةُ فإنَّها مقيَّدَةٌ.

الأزمنةُ البسيطةُ ثلاثةٌ وهي:

1. الماضي المطلقُ : THE PAST UNCONDITIONAL

وهو الفعل الذي يُخْبِرُ المتكلِّمُ أو الرّاوي أنّه حدثَ في سابقٍ من الزّمان دونما أيِّ تقييدٍ لَهُ بوقتٍ مُعَيَّنٍ . مثل (أنْطَقَتْ، وَمَا عَطفُوا، وَلاَ عَرَفُوا) في قول الشاعر:

وأنطقت الدّراهِمُ بَعْدَ صمتٍ * أُنَاساً بَعْدَ مَا كَانُوا سُكُوتَا
فَمَا عَطَفُوا عَلَى أَحَدٍ بِفَضْلٍ * وَلاَ عَرَفُوا لِمَكْرُمَةٍ ثُبُوتَا
(الإمام الشافعي، ديوان الشافعي ص 30 ، دار الجيل، بيراوت– 1974م)

فإنَّ الشاعرَ قد ذكر هذه الأفعالَ الماضيةَ الثلاثةَ دونما تحديدٍ لها بوقت مُعَيَّنٍ. بل أطلقها لشمولها البيانِيّ. وكأنَّ الشاعرَ قال: " كل من أصاب من الغِنَى، يبدأ ينطق بِجُرْأَةٍ بعد أن كان الحرمانُ يُرْغِمُهُ على الصمتِ فيما سَبَقَ" وهذا تعميمٌ يدلُّ على أن (أنْطَقَتْ، وَمَا عَطَفُوا، وَلاَ عَرَفُوا) أفعالٌ مستغرقةٌ في طيِّ الماضي، غيرُ محدودةٍ بجزءٍ منه.

والفعلُ المضارعُ الذي يأتي بعد (لم)،كذالك يدلُّ على الماضي المطلقِ، ولكن على سبيل النّفيِ. مثل (لم يَنَلْ) في قول الشاعر:

"كَمْ شُجَاعٍ لم يَنَلْ مِنْهَا الْمُنَى * وَجَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ الأَمَلْ"

هذا، ومن الجديرِ بالإشارةِ؛ أنّ هذه المقولةَ قد جمعتْ بين صيغتي السّلبِ والإيجابِ للماضي المطلقِ. قد جائتْ صيغةُ السّلبِ في الصدر (لم يَنَلْ)، وصيغة الإيجابِ في العَجُزِ (نَالَ). فحاصلُ ما يدخلُ تحتَ هذا البابِ: أنَّ كلَّ صيغةٍ فعليةٍ خبريةً كانتْ أو إنشائيةً إذا كانت تُنْبِئُ عن حدثٍ فيما سَبَقَ دونَ أيِّ تحديدٍ بوقتٍ مُعَيَّنٍ فإنّه الماضي المطلق.

2. الحال المطلق THE PRESENT UNCONDITIONAL TENSE

هو الفعلُ الذي يُخْبِرُ المتكلِّمُ عن حدوثِهِ في الحينِ الذي يتكلَّمُ دونما تحديدٍ منه بوقتٍ مُعَيَّنٍ. كـ (يُنْبِئُ) في الْمَثَلِ السائر :"الصدقُ ينبئُ عَنْكَ لاَ الْوَعِيدُ. فـ (يُنْبِئُ) هنا فعلٌ مضارعٌ مطلَقٌ لا حدودَ لوقتهِ. إذ يُضْرَبُ المثلُ بهذه المقولةِ للجبانِ، يتوعَّدُ ثُمَّ لا يفعل. وذلك في الحين الذي يناسب، دون أيِّ قيدٍ بوقتٍ مُعَيَّنٍ. يجوز أن يكونَ الفعلُ على صيغةِ الماضي في تأويلِ المضارعِ كما في المثل السائر أيضاً: "مَنْ صَبَرَ ظَفَرَ" أيْ من يَصْبِرْ يَظْفَرْ، في الحين الذي يتمسّك بالصبر. فالظفر موكَلٌ بالصبر في كلِّ حالٍ دونما أيِّ قيدٍ بزمانٍ مُعَيَّنٍ. وكذلك الفعلان الواردان في جملتي النفيِ والإثباتِ، كما في المثل التّرْكِيِّ: "ما نهض أحدٌ غاضبًا إلاَّ وجَلَسَ خَاسِرًا" أي من لا يملك نفسه من النهوض غضبًا على غيره، فإنه يخسر بذلك في حينه متى كان، على الإطلاق.

***

3. المستقبل المطلق: THE FUTURE UNCONDITIONAL TENSE

وهو الفعلُ المضارعُ الذي يستهلُّ بإحدى أداتَي الزّمان الآتي. وهما (السين وسوف) كـ(سَيَعْلَمُ) في قول المتنبي:

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسَنَا * بِأَنَّنِي خَيْرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ

(أبو الطيب المتنبي . ديوان المتنبي ص. 332، دار بيروت. 1980 م)

ومِثْلُهُ "سَوْفَ . إخَالُ . أَدْرِي" في قولِ زهير بن أبي سلمى:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي * أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ.

الأزمنةُ الْمُرَكَّبَةُ:

فإنَّ المُتَوَقَّعَ في كِلْتَا المقولتين غيرُ محدَّدٍ بزمانٍ. إنَّ هذه الصِّيَغَ لا قيدَ لَهَا كما مرَّ، وهي مُطْلَقَةٌ مُسْتَغْرَقَةٌ في مفهومِ الزَّمَانِ الْمُقْبِلِ بِتَمَامِهِ.

أما الأزمنةُ المركّبةُ : فهي على ثلاثةِ أقسامٍ رئيسَةٍ. وهي الماضي المقيّد، والحال المقيّد، والمستقبل المقيّد. وكلٌّ منها منقسمٌ إلى فروعٍ مختلفةٍ بقيودٍ خاصَّةٍ يتميَّزُ بها بعضُهَا عن البعض الآخر. وفي غالبها يأتي الفعلُ بعد القيدِ.

أمَّا قيودُ الفعلِ لتحديدِ علاقةِ الزّمانِ به، فكثيرةٌ؛ وغالبُهَا حروفٌ: كقَدْ، ولم، وإذا، وإنْ، وبينما... وبعضها أفعالٌ ناقصةٌ، مثل: كانَ وصارَ، وأصبحَ ...إلخ. وبعضها تعبيراتٌ بسيطةٌ: كأمسِ، وحيثُ، وإيّاكَ، أو مُرَكَّبَةٌ: مثل (حُكِيَ أنّهُ)، و(رُوِيَ أنّهُ)، و(قيلَ أنّهُ)، و(قال)، و(حدّثني)، و(سَمِعْتُ يَقُولُ)، و(سَبَقَ أنْ) الخ. وهكذا تتفاوت المراتب الزّمنيّة للفعل بهذه القيود، فيكون بعضُها أقربَ زمناً إلى المتكلِّمِ أو أبعدَ إليهِ من بعضِهِ الآخَرِ. ويكون في أنواعٍ منها احتمالُ التّكرارِ دون الأخرى، كما إذا قلتَ: "كُنْتُ أَرَاهُ"؛ فهذا كلامٌ يُوهِمُ التّكرارَ على التّراخي والتّردّدِ، بخلافِ " قَد رَأَيْتُهُ"؛ إذ قولك: "كُنْتُ أَرَاهُ"، أي كنت أراه حيناً بعد حينٍ؛ بينما قولك: " قَدْ رَأَيْتُهُ"، يدلُّ على أن الفعل قد حدث مرةً واحدةً بصورةٍ جازمةٍ. وسيأتي شرح هذه الجوانب للفعل المقيّد المقترن بالزّمان الْمُرَكَّبِ إنْ شاء الله تعالى.

***

أمَّا الماضي المقيَّد: THE PAST CONDITIONAL TENSE

فهو على أربعة أبواب:

1. الماضي القريب
2. الماضي الجازم
3. الماضي الرِّوائيّ
4. حكاية الماضي الرِّوائيّ

***

الباب الأوَّل من الماضي المقيَّد:

الماضي القريب: THE PERESENT PERFECT TENSE

وهي صيغةُ المخاطَبِ، والمخاطَبَةِ، والمُخاطَبَيْنِ، والمخاطَبِينَ، والمخاطَبَاتِ، والمتكلِّمِ، والمتكلِّمِينَ. إنَّ هذه الصيغ، أقربُ ما حدث من الأفعال بالنسبة للمتكلِّمِ بين المراتبِ الزّمنيّةِ للماضي. نحو: قُلْتَ، وأكْرَمْتِ ، وقرّبْتُما، وَانْسَحَبْتُمْ، وتَناجَيْتُنَّ، وتَمَسَّكْتُ، وَاسْتَغْفَرْنَا. كُلُّهَا جَازِمَةٌ. ولا يشترط في هذا الباب أن يكون الفعلُ على صيغة الماضي في كلِّ الأحوال. بل الفعلُ المضارِعُ الذي يأتي بعد بَدَأَ، وأَخَذَ، وطَفِقَ، وجَعَلَ، وعَادَ، وصَارَ، وأَصَبَحَ، ومَازَالَ، وأَقَبَلَ، وأَنْشَأَ، وظَلَّ، وبَاتَ؛ نعم، الفعلُ المضارِعُ الذي يأتي بعد هذهِ الأفعالِ، يدلُّ على الماضي القريب أيضاً ولكن يفيدُ التكرارَ والإمتدادَ نحو: "بَدَأَ يُلاَطِفُهُ"، و"أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ"، (الأعراف/150) و"وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ" (الأعراف/22– طه/121)، و"جعل يُغْرِيهِ على خصمه"، و"عاد ينافسه على السلطة"، و"صار يشعر بالندم على ما فعل"، و"أصبح يستوحش منه" و"أقبل يُكَلِّمُهُ بهدوءٍ"، و" ظل يحاسبه على تصرفاته"، و"أنشأ يقول"، و"بات يستأنس به"

***

الباب الثاني من الماضي المقيَّد: الماضي الجازم: THE SIMPLE PAST TENSE

هو الذي يفيدُ القطعَ ويدلُّ على حدثٍ في وقتٍ مُعَيَّنٍ من الزّمان الماضي.

أما ضَابِطُهُ: فأنْ يأتِيَ الفعلُ الماضي في الكلامِ الموجَبِ بعدَ (قَدْ)؛ وفي الكلام السالِبِ بعد (ما) و(لا) النافيتين للجزمِ وللدلالة على حدوث الفعل مرةً واحدةً. نحو (سَمِعَ) في قوله تعالى: "قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا..." (المجادلة/1)

ونحو(مَا أُخْمِدَتْ)، و(لاَ ذَمَّنَا) في قول الشاعر:

وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ * ولاَ ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ.

(السموأل بن عاديا، ديوان الحماسة أبو تمام 1، 26)

أو أن يكون الفعلُ الماضي مقرونًا بقيدٍ من القيودِ الزّمنيّة وهي الظروفُ وأدواتُ الإستفهامِ كما إذا وَقَعَ بعد: إذْ، ولَمَّا، ومُذْ، ومُنْذُ، وحَتَّى؛ كذلك إذا وَقَعَ قبل: عَلَى، وفِي، وفَوْقَ، وتَحْتَ، ومِنْ، وأَمَامَ، وخَلْفَ، وعَنْ يمين، وعن شمال، وقبل، وبعد، وإلى، وإذا به، وهو (للحالية)، وأمس.

***

وهذه الأمثلة للماضي الجازم بهذه القيود. مثاله مقروناً بظروف تسبقه:

* "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً". (البقرة/30)
* "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا". (يوسف/22)
* "ولقد نسيتُكَ مُذْ نسيتَ صداقتي * فأبيت أن ألقاك منذ هجرتنا"

ومثال الفعل الماضي مقرونًا بقيودٍ تأتي بعده: بعضها لإنتهاء الغاية، وبعضها للظّرفية:

* "دعا الطير حتى أقبلت من ضرية * دواعي دم مهراقه غير بارح"

(ديوان الحماسة لأبي تمام: 1-288)

* "جلس في المسجد للإعتكاف"
* "وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ" (المؤمنون/17)
* " وقف تحت الشجرة"
* " وقف عن شماله ثم جلس عن يمينه"
* " سافر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ثم رجع بعد شهر."
* " نهض وإذا به ضعف يبدو واضحاً."
* "أقبل وهو يبتسم"
* " وصل أمس"

***

ومثال الفعل الماضي بعد أدوات الإستفهام:

* "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ" (البروج/17)
* " أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ" (الفيل/1)
* " أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ" (الواقعة/68)

إنَّ الفعلَ الماضيَ بكونه مقروناً بالقيودِ يدلّ على حدثٍ سابقِ الوقوعِ قطعاً إلاَّ ما جاء بعد أدواتِ الإستفهامِ؛ فإنّه جازمٌ حكماً لا حقيقةً، إلاَّ ما جاء في آيات الله البينات. وهو محمول على سابقِ الوقوعِ، ولا ينحصرُ مفهومُ الزّمانِ السابقِ في صيغةِ الفعلِ الماضي. بل يأتي الفعلُ المضارعُ بعد (لم) و(لَمَّا) النافيتين، فيفيدان القطعَ ووُقوعَ الْحَدَثِ في الماضي مع عدم التكرار؛ كما في قوله تعالى: " لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ". (الإخلاص/3)

وللماضي الجازم مشابهةٌ بالماضي القريب من بعض الوجوه، وبينهما عمومٌ وخصوص.

***

الباب الثالث من الماضي المقيَّد:

الماضي الرِّوائيّ: THE PAST CONTINUOUS TENSE

وهو أسلوبٌ للحكايةِ عن أمرٍ حَدَثَ؛ حقيقةً أو حكماً؛ وذلك في زمنٍ غيرِ قريبٍ. وضابطُهُ: أن يأتي الفعلُ على صيغةِ الماضي أو المضارعِ بعد (كَانَ)، وبعد (لَمَّا) الجزائية التي تسبقها (لولا) الشرطيةُ وبعد (ل) الجوابية وبعد (حتى) إذا سبقتها (ماكان) . كل ذلك في الكلام الإيجابي والسلبي على السواء. وهو زمانٌ سابقٌ استغرق فيه حدوثُ الفعلِ عبرَ مُدَّةٍ كقوله تعالى: "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" (آل عمران، 159) وكقوله تعالى: "مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ" (الشورى/52)

وكقول الشاعر:

وَلَوْلاَ الْمُزْعِجَاتَ مِنَ اللَّيَالي * لَمَا تَرَكَ الْقِطَا طِيبَ الْمَنَامِ.

(أبو محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري، قطر الندى وبل الصدى، 14)

وقد يتخلَّلُ حرفُ النفي بين (كان) وبين ما يَتَعَاقَبُهُ من فعلٍ. كقوله تعالى : "كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (المائدة، 79)

***

حكاية الماضي الرّوائيّ: THE PAST PERFECT TENSE

وهو أسلوبٌ للحكايةِ عن حكايةِ أمرٍ في زمانٍ سابقٍ. ضابطه: أن يأتي الفعل الماضي بعد (كَانَ قَدْ) كقولك "كُنْتُ قَدْ رَأَيُت زَيْداً". هذا في الكلام الخبريّ. وأمَّا الكلام الإنشائيُّ، فإنّهُ ليس من العادة أن يأتي (قد) بعد (كان) أو قبله كما لو قلت : "مَا كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُ" أو " هَلْ كُنْتَ قَدْ رَأَيْتَ زَيْداً؟". فإنّ هاتينِ الصّيغتينِ غيرُ مُعْتادةٍ عندهم. أمّا طريقة بناءِ هذا البابِ: أنْ يأتِيَ الفعلُ الماضي بعد تركيبٍ استحدثه العربُ؛ وهو: "لم يسبقْ أنْ". كقولك: "لم يَسْبَقْ لي أنْ رأيْتُ زيداً"، و"مَا سَبَقَ لي أن رأيتُهُ"؛ و"هل سبَقَ لكَ أنْ رأيْتَهُ".

***

أما الحال المقيّد: THE PRESENT CONTIDIONAL TENSE

فهو بابٌ واحدٌ، وهو الحالُ السريعُ الذي يتحدّثُ فيه المتكلِّمُ عن أمرٍ لا يزال جارياً بالنسبة له، وإن كان قد مضى بالنسبة لغيرهِ، وضَابِطُ هذا البابِ: أن يكون الفعلُ المضارعُ مقروناً بقيدٍ يحدِّدُهُ لتلك اللحظات التي يتحدّثُ فيها المتكلِّمُ. كَصِيَغِ المخاطَبِ، والمخاطَبَةِ والمخاطَبَيْنِ والمخاطَبِينَ والمخاطَبَاتِ والمتكلِّمِ والمتكلمين من المضارع مع ذكر الضمائر المنفصلة قبلها؛ نحو أنْتَ تقول، وأنتِ تكتبين، وانتما تسمعان، وأنتم تشهدون، وأنْتُنَّ تصدقن ، وانا أنصحكم، ونحن نتعاون. أمَّا صِيَغُ الأمرِ، فإنَّهَا من المستقبل المطلق .

***

أما المستقبل المقيّد: THE FTURE CONDITIONAL TENSES

فهو على أربعة أبواب:

الباب الأول منه، المستقبل المعلّق: THE FTURE BOUND TENSE

وهو الفعل الذي يأتي جزاءً للشرط ويجوز أن يكون على صيغة الماضي والمضارع، ومِثَالُهُ من الماضي قول الشاعر:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ * وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تمرّدا.

أي إنْ تُكْرِمِ الكريمَ تَمْلِكْهُ، وإنْ تُكْرِمِ اللّئيمَ يَتَمَرَّدْ. وهذا تنبيهٌ لمن يُحسِنُ الظّنَّ بالناس ولا يُفَرِّقُ بينهم، فيوشك أن يناله شرٌّ من بعض من أحسن إليه. فإن الإكرام في هذا المثال مشترطٌ على وجهين، ومعلّقٌ على وقتين من المستقبل.

ومثاله من المضارع قوله تعالى: "إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ " (محمد/7)

***

الباب الثاني من المستقبل المقيد:

المستقبل الرِّوائيّ: THE FUTURE PERFECT TENSE

وهو الفعل الماضي الذي يأتي بعد (يَكُونُ قَدْ) وذلك جزاءً لفعلِ الشرطِ كقولك: "إذا سبقْتَهُ تكونُ قد أحرزْتَ النّصرَ"

الباب الثالث من المستقبل المقيّد:

المستقبل السّلْبيُّ الجازم: THE FUTURE NEGATIVE TENSE

وهو الفعل الذي يأتي بعد (لَنْ) كما في قوله تعالى: "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ " (آل عمران/92)

***

الباب الرابع من المستقبل المقيّد:

حكاية المستقبل الرّوائيّ: THE PAST FUTURE PERFECT TENSE

وهو الفعل الذي يأتي بعد (مَا كَانَ لِـ..) نحو قوله تعالى:" وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ..." (الأنفال/33)

وبهذا انتهت مسائل الأزمنة في اللغة العربية بالقدر الميسّر وذلك بالمقارنة مع اللغات الأجنبية وبالله التوفيق.

فريد الدين آيدن
Feriduddin AYDIN
26/ صفر/1418 هـ.

1997/07/01م.

